

كَانَ "سَالِمٌ" تَاجِرًا طُمُوحًا، يَسْكُنُ الذِّكَاةَ عَيْنِيهِ وَيَسْكُنُ حُبَّ التَّرَاءِ قَلْبَهُ. فَكَانَ يَفْضِي بِبَاحِ نَهَارِهِ وَسَوَادَ لَيْلِهِ جَانِيًا وَذَاهِبًا عَبْرَ
 رِمَالِ الصَّحَارِيِّ القَاحِلَةِ، بَحْنًا عَن تِجَارَةٍ تَفْتَحُ لَهُ أَبْوَابَ الغِنَى الوَاسِعِ. تَنَاهَى إِلَى مَسَامِعِهِ خَبْرُ "بِلَادِ الكُنُوزِ"، تِلْكَ الأَرْضُ الَّتِي
 يَفِيضُ خَيْرُهَا وَيَعْلُو ثَمَنُ بَضَائِعِهَا. وَأَنْطَلَقَ يَشُقُّ صَمْتِ الفَيَافِي حَتَّى بَلَغَ مَقْصِدَهُ. فَبَاعَ بَضَائِعَهُ بِأَضْعَافِ أَثْمَانِهَا، وَعَادَ مُحَمَّلًا
 بِصُرُرِ الذَّهَبِ وَالمَالِ الَّتِي لَطَأَمَا حَلَمَ بِهَا. وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَوَسَّطُ قَلْبَ الصَّحْرَاءِ الشَّاسِعَةِ، أَحَسَّ بِجَفَافٍ يَغْزُو حَلْقَهُ، فَمَدَّ يَدَهُ إِلَى قَرِينِهِ
 لِيَرْتَوِي، لَقَدْ كَانَتِ القَرِينَةُ خَاوِيَةً تَمَامًا! تَفَحَّصَهَا بِذُهُولٍ لِيَكْتَشِفَ ثِقْبًا صَغِيرًا كَانَ كَفِيْلًا يَنْسَرِبُ كُلَّ قَطْرَةٍ مَاءٍ كَانَتْ مَعَهُ. يُقَلِّبُ
 نَظْرَهُ فِي الأُفُقِ المُمْتَدِّ، وَشُعُورٌ بِالحَسْرَةِ يَمْزِقُ صَدْرَهُ. أَخَذَ يُخَاطِبُ نَفْسَهُ بِمِرَارَةٍ: "يَا وَيْلِي! مَا نَفَعُ هَذِهِ الأَمْوَالِ الآنَ وَأَنَا أَمُوتُ
 عَطَشًا؟ لَنْ أَتَمَتَّ بِدِرْهِمٍ وَاحِدٍ مِنْهَا!" ثُمَّ غَرِقَ فِي صَمْتِ طَوِيلٍ، وَصَارَ طَيْفٌ أَوْلَادِهِ يُلُوحُ أَمَامَ عَيْنِيهِ، وَالأَسَى يَعْتَصِرُهُ خَوْفًا عَلَى
 مَصِيرِهِمْ بَعْدَ رَحِيلِهِ. لَمَحَتْ عَيْنَاهُ شَبَحَ رَاحِلَةٍ قَادِمَةٍ مِنْ بَعِيدٍ. انْتَفَضَ سَالِمٌ وَبَدَأَ يُلُوحُ بِيَدَيْهِ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ. أَبْصَرَهُ البَدَوِيُّ
 صَاحِبُ النَّاقَةِ فَاقْتَرَبَ مِنْهُ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ سَأَلَهُ بِاسْتِعْرَابٍ: "لِمَذَا تُلُوحُ يَا رَجُلٌ؟ وَمَا الَّذِي أَصَابَكَ؟". أَجَابَهُ سَالِمٌ بِصَوْتٍ مُنْهَدَجٍ
 مِنَ العَطَشِ: "أَنَا أَمُوتُ. تَفَرَّسَ البَدَوِيُّ فِي ثِيَابِ سَالِمٍ وَرَأَى عَلَيْهَا آثَارَ الغِنَى، قَالَ سَالِمٌ: "أَنَا تَاجِرٌ، فَقَدْتُ مَائِي وَضَاعَ سَبِيلِي".
 فَأَبْتَسَمَ البَدَوِيُّ قَائِلًا: "أَنَا لَا أَمْلِكُ سِوَى هَذِهِ القَرِينَةِ، وَلَنْ أَفْرُطَ فِيهَا إِلَّا لِمَنْ يَعْرِفُ قَدْرَهَا وَيَدْفَعُ ثَمَنَهَا". فَهَمَّ سَالِمٌ أَنْ البَدَوِيُّ يُسَاوِمَهُ
 عَلَى حَيَاتِهِ مُقَابِلَ مَالِهِ، فَسَأَلَهُ بِضَيْقٍ: "بِكَمْ تَبِيعُهَا؟". أَجَابَ البَدَوِيُّ بِصَلَابَةٍ: "بِنِصْفِ مَا تَمْلِكُ مِنْ مَالٍ!". أَخَذَ القَرِينَةَ وَشَرِبَ حَتَّى
 ارْتَوَى، وَعَادَتِ الرُّوحُ إِلَى جَسَدِهِ الهَزِيلِ. أَرَادَ أَنْ يُلَقِّنَ البَدَوِيَّ دَرْسًا فِي عَاقِبَةِ الطَّمَعِ. قَدَّمَ لَهُ قِطْعَةً مِنَ الجُبْنِ المَالِحِ اللَّذِيذِ، فَأَكَلَهَا
 البَدَوِيُّ بِشَهِيَّةٍ مُفْرَطَةٍ. وَلَمْ تَمُرْ دَقَائِقٌ حَتَّى فَعَلَتِ المُلُوحَةُ فِعْلَهَا، فَاشْتَعَلَ جَوْفُ البَدَوِيِّ عَطَشًا، وَالتَفَتَ إِلَى سَالِمٍ يَطْلُبُ مِنْهُ شَرِبَةَ
 مَاءٍ. هُنَا، وَلَنْ أُعْطِيهَا إِلَّا لِمَنْ يُقَدِّرُ ثَمَنَهَا!". وَأَنَّ ذِكَاةَ التَّاجِرِ قَدْ حَاصَرَهُ، فَمَا ثَمَنُهَا؟". أَجَابَهُ سَالِمٌ بِهَدْوٍ الوَاقِعِ وَنُبْلِ التَّاجِرِ الكَرِيمِ:
 "لَنْ أَخَذَ مِنْكَ إِلَّا مَا أَخَذْتَهُ مِنِّي،